أخرج من جيبه قلما ودفتر مسوداته الصغير. كتب: قصر الجزيرة. صممه لإسماعيل المعماريان الألمانيان: كارل فيلهالم فالنتين ديبتش وجوليوس فرانز. انتهيا من بناء القصر عام ١٨٦٧. سطر جديد، كتب: ١٩٦٧. لا يتطلب الأمر سوى تغيير رقم واحد. سطر جديد: تقفز مائة عام وتُثبِّت النظر على القصر الذي تحتفل بعرس ابنتك فيه.

كتب:

في حديقة القصر أقام إسماعيل حفلا راقصا كبيرا دعا له ألفا من الضيوف، عام ١٨٧٦ أم بعد ذلك، وفي أية مناسبة؟ المحروسة لا ترد بخاطر إسماعيل، لا يرى نفسه على متنها راحلا عبر البحر إلى منفاه، لا يرى جيوش الحورية في الغيب، ولا القصر مصادرا من قبل سلطتها، تحوله إلى فندق. يشتريه السيد بهلر، لا يعرف إسماعيل بهلر. لا يفكر فيما لا يعرفه. صندوق الدين يعرفه. ربما مرت فكرته برأسه. يطردها. ما لنا وماله؟! الحفل قائم في القصر، يتلألأ النور فيه، تصدح الموسيقى، يتدفق الماء من فم السباع الأربعة في نافورة الرخام، ومن فم البطتين في النافورة المذهّبة. آلهة اليونان في داخل القصر وفي البستان، تضيء الحفل في صمت يليق بأرواح آلهة تأبّدت في الرخام. البهجة تشعشع في النفوس. لا مكان للصندوق. إنه هناك فيما وراء النهر. مكاتبه مغلقة. أضواؤه مطفأة. كأنه لا شيء. ابتسم إسماعيل.

بدا له المقهى خانقا. غادر إلى الحديقة. لم يتأمل الأعمدة الدقيقة المزدوجة ولا الأقواس ولا شغل الحديد في الشرفات، لم يتوقف عند التماثيل، لم يتطلع إلى البرجين الناتئين اللذين أضافت بهما الشركة المالكة للفندق عدد الغرف والأسرة. مشي في ممرات الحديقة إلى أن شعر بإرهاق عظيم. عاد إلى المقهى. جلس وأغفى.